وقد حلم الاديم ، [1] والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

القوة في المال

رسالة حكيمة وردت الينا من أحد كتاب دمشق الشام الافاضل فأثبتناها لما فيها من التنبيه والفائدة شاكرين فضل مرسله وغيرته وهي

نعم المعين على المروءة للفتى　　مال يصون عن التبذل نفسه
لاشيء أنفع للفتى من ماله　　يقضي حوائجه ويجلب أنسه
واذا رمته يد الزمان بسهمه　　غدت الدراهم دون ذلك ترسه

المال ولا أزيد القراء به علماً من أعظم أسباب السعادة والرفاه ، وبواعث السؤدد والمنفعة والجاه ، بل هو المحور الذي تدور عليه الاعمال ، وتناط به الآمال ، وتحط عنده الرحال ، وتوجه اليه هم الرجال ، فلا يستغني عنه في حال من الاحوال

لابد للمرء من مال يعيش به　　وداخل القبر محتاج الى الكفن

بالمال تقضى الحاجات ، وتنال الرغبات ، وترد اللهفات ، وتضاعف الحسنات ، وتستجلب الدعوات ، وتعمل الخيرات ، وترفع الدرجات ، فهو زينة الحياة وغاية الغايات ،

شيئان لاتحسن الدنيا بغيرهما　　المال تصلح منه الحال والولد
زين الحياة هما لو كان غيرهما　　كان الكتاب به من ربنا يرد

---

(١) حلم الاديم وقع فيه الحلم (دود) فافسده والكلام يضرب مثلا لمن يحاول اصلاح أمر بعد فساده واليأس منه

والفقر أعاذنا الله وإياكم منه هو البلاء الاكبر، والموت الاحمر،

اذا قل مال المرء قل حياؤه وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدري وان كان حازما أقدامه خير له أم وراؤه

كم صير العزيز ذليلاً، والشريف وضيعاً، وقد ورد فيه «كاد الفقر أن يكون كفراً» وما ضرب العباد بسوط أوجع من الفقر

غالبت كل شديدة فغلبتها والفقر غالبني فاصبح غالبي
ان أبده أفضح وان لم أبده أقتل فقبح وجهه من صاحب
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وفي الحديث الشريف « لا خير في من لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه» ومن كلام الامام الثوري: المال في هذا الزمان عز للمؤمن. ومن كلامه أيضا المال سلاح المؤمن في هذا الزمان

هذا قليل من كثير مما قيل في فضل المال وفوائده ومنافعه بالنظر للافراد، وأما بالنظر للامة فوائده أعظم وأجل، وفقده أدهى وأمر، قال حكيم: لا دولة الا بالرجال ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بالعمارة. فالمال هو ميزان قوة الامة وداعية مجدها واستقلالها خصوصاً في هذا الزمان الذي أضحى مدار الاعمال فيه على المال اذ بالمال تسد الثغور، وتشاد القلاع والحصون، بالمال تجمع الجموع، وتحشد الجيوش، بالمال تصان الحدود من هجمات الاعداء، وتسير الاساطيل في عرض البحار، بالمال تبتاع العدد من أسلحة ومدافع وذخائر، فالقوة كل القوة في المال، كما ان كل الصيد في جوف الفراء، ولا حياة للامة بلا مال، ولا وجود ولا استقلال، ومعلوم ان ثروة كل دولة من ثروة أمتها وثروة الامة من ثروة الافراد فاذا كان الافراد أغنياء كانت الامة

غنية واذا كانت الامة غنية كانت الدولة قادرة على حفظ دمارها وحماية بيضتها وصد هجمات الاعداء عنها، ومنع مطامع الطامعين فيها، إذ لا يخفى ان الجسم المادي كبيراً كان أو صغيراً — من الكرة التي يلعب بها الاولاد الصغار الى أكبر الثوابت — هو مؤلف من جواهر فردة وقوته عبارة عن مجموع قوة هذه الجواهر وكذلك الدول العظيمة مؤلفة من مجموع افراد تبعتها وقوتها عبارة عن قوة تلك الافراد فاذا أعنت صانعاً على احياء صناعته أو تاجراً على توسيع تجارته أو زارعاً على اتقان زراعته فقد أحسنت الى ذلك التاجر والصانع والزارع «أولا» وزدت في ثروة بلادك «ثانياً» وفي أمتك ودولتك «ثالثاً» والعكس بالعكس. فالصانع والتاجر والزراع يجب ان يكون لهم المقام الاول في الهيئة الاجتماعية لأن عليهم مدار الثروة والقوة

فاذا علمت هذا ظهر لك خطأ بعض الجهلاء المتسمين بسمة العلماء الذين يزهدون الناس في الاشغال والاعمال ويثبطونهم عن العمل بحجة انهم يزهدونهم في الدنيا الفانية، ويقربونهم من الآخرة الباقية، وان الساعة على وشك القيام، فلا حاجة الى هذا الاهتمام. يحسبون بذلك انهم يحسنون صنعاً ألا ساء ما يعملون. يتعاضون بهذا عن تنشيطهم الناس بصفة انهم قادة العقول، الى النهوض من سنة الخمول، الى الكد والجد ومناظرة غيرهم في جهاد الاعمال والاشغال، فان الدنيا مزرعة الاخرة والشرع الاسلامي لم يحظر على أحد الكسب والارتزاق بالوجوه المشروعة وقد جاء في الحديث «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» وما ورد من التزهيد في الدنيا يراد به الزهد بما في أيدي الناس

وأما احتجاجهم على وشك قيام الساعة فالساعة علمها عند الله سبحانه

وتعالى كما جاء في الكتاب وما يمنينا ان كانت قريبة أم بعيدة فعلينا ان نعمل بتلك القاعدة الذهبية التي وضعها احد الفضلاء وتربي أولادنا عليها وهي « اذا أخبرنا ملك من السماء بانا سنموت غداً فيجب ان نتم واجباتنا اليوم ونموت غداً » ومعلوم ان موارد الكسب ثلاثة الزراعة والتجارة والصناعة «سنفرد لكل واحدة منها مقالة في المستقبل» وقوامها كلها بالتوفير والاقتصاد وليس المراد بالتوفير الشح والبخل المذمومين شرعاً وعقلاً بل اتقان أساليب الكسب والارتزاق وتوفير الثروة العمومية واصلاح التجارة والزراعة والصناعة على الطرق التي يجري عليها الغربيون وراء ذلك كله العلم الصحيح كما سنبينه في فرصة أخرى

والقصد من هذا التمهيد كله ذكر بعض ماشاهدته في الديار المصرية مما يذهب ثروة أهلها وملاشاتهم ، ان ظلوا على سباتهم وغفلتهم، وذلك اني زرت الديار المصرية منذ عشرين سنة وزرتها في العام الماضي فوجدت فرقاً كلياً في الزيارتين : وجدت في الزيارة الاولى مصر للمصريين وفي الثانية مصر للدخلاء والغرباء ، وجدتهم قابضين على الوظائف المهمة ، والاشغال العظيمة ، وجدت المالية بيدهم وكذا التجارة والبنوكة والاشغال العمومية ، وجدت الوطنيين آلة صماء بايديهم ، وجدت أكثر أبناء الاعيان الذين هم رجال المستقبل منغمسين في المنكرات ، عاكفين على اللذات ، ينفقون المال جذافاً في سبيل البذخ والشهوات ، وكثيرين منهم باعوا ماتركه لهم أسلافهم من الاطيان والعقار وأضاعوه في المقامرة واخواتها من الفواحش ، وجدت الوطنيين مثقلين بالديون للأجانب ، وجدت أكثر سراتهم ووجهائهم عاكفين على اللهو والبطالة وأحوالهم في تأخر وتقهقر

والاجنبي يبتزأموالهم ويتملك أطيانهم، واذا سافر أحدهم الى البلاد الاوربية كما هي عادة بعضهم في زمن الصيف وابّان القيظ فلا يعود منها بتجارة أو صناعة تعود عليه وعلى بلاده بالنفع والفائدة بل بأحمال من الازياء والعادات الافرنجية التي تذهب بجانب كبير من ثروته اذا لم تذهب بمجموعها . وقد شاهدت واحداً منهم فتح مخزناً كبيراً لتجارة واسعة قرب الازبكية فنزل الخديوي أيده الله يوم فتح المخزن لتشريف مخزنه بذاته الكريمة وهنأه بذلك تنشيطاً لغيره باحتذاء مثاله .

ثم جلت في الارياف حتى انتهيت الى الحدود فرأيت مثل ما رأيت في البنادر الكبيرة وزيادة: رأيت الدخلاء قد نصبوا فيها للفلاحين المساكين نخاخ المسكر والميسر والفواحش والربا الفاحش يوقعونهم فيها ويستولون على أطيانهم. رأيت في الاقصر داراً كبيرة حمراء على هيئة البرابي المصرية القديمة لرجل أجنبي قدم البلاد منذ بضع سنين فسمع ان الفلاحين يستدينون الجنيه الواحد بخمسة غروش في الشهر فاستوطن ذلك المحل وأخذ يقرض الفلاحين الدنانير بذلك الربا الفاحش فأثرى اثراء مفرطاً وبنى تلك الدار على الهيئة التي ذكرناها وقلما مررت بكفر الا ورأيت فيه المواخير والحانات ومحلات المقامرة والفحش والعمد والفلاحين عاكفين عليها أي انعكاف وكنت اذا مررت بعزبة عامرة وفيها الآلات المتقنة لري الارض أسأل عنها فيقال لي انها لفلان الاجنبي ابتاعها حديثا من فلان الوطني واذا مررت بعزبة عامرة تسقى بالشادوف أو الساقية أسأل عنها فيقال لي انها لفلان الوطني وهو على وشك أن يبيعها لانه مثقل بالديون للبنك أو لفلان الاجنبي . وفي الجملة انني رأيت تنازع البقاء في هذا القطر بالغا أشده بين الوطنيين والدخلاء

ولا بد ان يؤدي الى نتيجته المعلومة « بقاء الانسب » أي ملاشاة الوطنيين « لا سمح الله » اذا ظلوا على حالتهم الحاضرة وقيام الدخلاء مقامهم فيصبحون لديهم أجراء يستخدمونهم كما يستخدمون البهائم. فبمثل هذا يجب الوعظ والانذار، ولمثل هذا يجب توجه الافكار وتنبه الهمم، ولما كانت جريدتكم من الغيرة والحمية بالمكان الذي نعلمه ويعلمه الجميع كتبت اليها بهذه العجالة مع علمي اني بذلك كمهدي السمك الى البحر، والتمر الى هجر، وبالله التوفيق

بيع الحكومة المصرية لسفنها واطيانها وسككها (١)

باعت الحكومة المصرية لاجل حملة السودان البواخر الخديوية لشركة انكليزية وكانت قررت بيع تفتيش الوادي لكن لم يبرم الامر فيه لانه وقف وقررت اخيراً بيع الدائرة السنية لشركة انكليزية فرنسوية مصرية لكن الشركة تطلب تحويرا في شروط البيع فلم يحصل القبول الآن وعزمت على بيع سكك حديد السودان فارسل الباب العالي رسالة برقية للجناب الخديوي في ذلك وهذا ملخصها على ما جاء في جريدة الاهرام الغراء

« ان انكلترا باحتلالها مصر قد اعلنت مرارا احترام حقوق السلطنة العثمانية على وادي النيل مما نشكرها عليه ولما كانت سكك حديد السودان طريقاً حربية فانه يستحيل بيعها الى شركة ولا سيما اذا كانت اجنبية ونحن نعلم احتياج مصر الى المال للقيام بنفقة الحملة السودانية . ولكن الاموال متوفرة في صندوق الدين فيمكنها ان تتناول منه ما تحتاج اليه ومع ذلك فان الباب العالي يسمح لمصر بعقد سلفة لنفقات السودان وهو مستعد لاصدار فرمان شاهاني بذلك » اه

---

(١) وردت هذه النبذة في العدد الثاني عشر